

الاتحاد الأوربي وما ينتظره

بقلم د . حامد طاهر

لست متخصصا في الاقتصاد ، لكنني أستطيع أن ألاحظ ، والملاحظة حق لكل إنسان ، أن دول الاتحاد الأوربي قد بدأت تنهوى اقتصاديا الواحدة بعد الأخرى .. وكانت اليونان أولها ، ثم راج الحديث يدور على اسبانيا والبرتغال وايطاليا ، لكن المفاجأة جاءت من إيرلنده التي أسرع الاتحاد الأوربي إلى إقالتها من عثرتها الاقتصادية والمالية بتخصيص ١٠ عشرات المليارات لها . وبالطبع هناك دول في هذا الاتحاد المهش مرشحة للسقوط الاقتصادي ، وفي مقدمتها مجموعة الدول التي تقع في أوروبا الشرقية ، وكانت تحت قبضة الاتحاد السوفيتي السابق . ان الواقع يكشف عن أن هذا الاتحاد الأوربي ليس كيانا متماسكا بالفعل ، وأنه مهما قام بمساندة بعض أعضائه فإنه لن يستطيع أن يمضي في هذا الطريق إلى ما لا نهاية ، فلولا المانيا ، ذات الاقتصاد القوي ثم بريطانيا وبعدهما فرنسا لما وجدنا بلداً أوربيا يزدهر من تلقاء نفسه ، ويعتمد على قدراته الذاتية .

إن فكرة الاتحاد الأوروبي فكرة مثالية إلى حد بعيد ، ولما أتردد في القول بأنها فكرة عنصرية ، قامت على أن شعوب هذه المقارة (مختلفة) عن غيرها من شعوب المقارات الأخرى ، وهذه الفكرة ترجع في جذورها العميقة إلى روح الاستعمار الأوروبي الذي اغتال معظم بلاد العالم ، وخاصة في إفريقيا وآسيا ، ثم بعد ذلك في أمريكا وأستراليا .. وإذا كان يقال أن الاتحاد الأوروبي قد قام لإحداث التوازن مع القوة الأمريكية أو السوفيتية السابقة ، فإن هذا كلام لا معنى له ، لأن الاتحاد الأوروبي واقع بكامله منذ الحرب العالمية الثانية في قبضة الولايات المتحدة الأمريكية ولما يمكنه بحال من الأحوال الخروج عليها أو معارضتها ، أما الاتحاد السوفيتي الذي تقلص حالياً إلى دولة روسيا فإن الاتحاد الأوروبي لم يعد يناصبها العداء ، وخاصة بعد أن تخلت عن مذهبها الشيوعي الذي كان يهدد رأسمالية أوروبا وديمقراطيتها .. ويكفى أن نرى روسيا الحالية تشارك في الدرع الصاروخي في الذي يحمي أوروبا نفسها ؟!

ماهى التوقعات ؟ مزيد من المانهيار الاقتصادي للدول الأوروبية المهشة ، ونفاد صبر الدول القوية اقتصادياً في دعمها .. ثم انكفاء كل دولة أوروبية على مشكلاتها الخاصة ، وتغليب مصلحتها على مصالح الاتحاد الأوروبي الذي أصبح هيكلاً بدون روح .. وما نراه حالياً من تصريحات سياسية لبعض قادة دول هذا الاتحاد فإنها لا تعدو أن تكون أقوالاً بدون رصيد فعلى .

والمخالصة أن الاتحاد الأوروبي قام على فكرة خاطئة ، وهى توحيد المختلفين في الجنس ، واللغة ، والثقافة والإمكانيات .. وكلما انكفأ على ذاته ، وعلت فيه أصوات العنصرية البغيضة ، والنظرة الدونية والعدائية للآخر فإنه سوف يزداد ضعفاً وضموراً ، ولن يطول الزمن كثيراً عن تفككه وتناثر وحدته .